الارواح التائهة

تابع صفحة ٣٠٠

متى تؤسسين على الارض مملكة لله يا ارق خلق الله . متى تهتمين بجعل نفسك فتقتلعين منه عليق الحسد وشوك البغض وحجارة النميمة وافيون الجمود متى تزرعين فيه قوة الارادة والتعقل والمحبة وطول الاناة والرأفة بالمسكين فتصير فضائلك هذه كاشجار باسقة يستظل تحتها المتعبون . متى تسهرين على حراسة لسانك فلا ينطق بغير الصدق ولا يدافع الا عن الحق ! تفعلين كل هذا عندما تفهمين الغاية من وجودك وعندما تدركين ان — على الانسان مهما كان — صغيراً ام كبيراً . رجلاً ام امرأة — على الانسان ان لا يبارح هذه الارض قبل ان يصلح شيئاً مما فسد فيها وقبل ان يترك بعده شعلة من نور يستنير بها القادمون وراءه على السير في ظلمات الحياة

الغاية من الوجود ان لا يعيش الانسان لنفسه فقط بل عليه ان يسعى جهده نحو الكمال الذي هو ارتقاء العقل والقلب والروح — في آن واحد — ولا تنسي ان الاشتغال بالكمال كمال . فتشي في كتاب ضميرك وانظري في اية صفحة يقول لك ان السعادة هي ان تاكلي وتشربي . السعادة الاصلية الحقيقية الدائمة هي السعي دوماً لاسعاد الاخرين فاهتمي قليلاً بغير نفسك فبقودك ذلك قسراً الى اسعادها . اخرجي خارج هذه القشرة التي تدعى انا . اهملي امر هذا الصنم الكبير فتصيرين ملاكاً لطيفاً يحوّل الكوخ الحقير بوجودك فيه الى جنة ونعيم دائمين

لا تتألمي من لهجتي يا اختي السورية ولا تظني انني اقصد كل النساء على العموم او اللواتي لا يعشن الا لابطاء الموت . المتعذبات بقلوبهن واملهن .

ولكني اقصد السورية التي اصبحت مزيجاً من كل الاخلاط · التي لا رأي ولا عاطفة لها · لا فكر يقودها ولا ارادة تقويها ولا عمل يشرفها · التي اضحت اميركية بدون اجتهاد وانكليزية بدون ثبات وافرنسية بدون لطف وايطالية بدون فنّ وعربية بدون شجاعة ولا فضيلة

كوني كل ما تشائين ولكن اتركي هذا الجمود الذي سيسيرنا الى الفناء · ان كانت امك قد جعلتك تمثالاً فاطلبي الموت لابنك قبل ان تصير صنماً · ان كانوا قد جرّدوك من كل ما يرفعك الى مقام العظماء فاجتهدي ان تفوقي عليهم وقدمي للعالم فتيات حقيقيات يحوين كل عظمة وكمال

الصرف والنحو والجغرافيا وباقي العلوم لا تنقصنا في مدارس بيروت · انما ينقصنا تهذيب الاخلاق وتكييف الطباع فانظري لفتياتك بغير هذه العين وافهمين ان لهنّ روحاً · اصلحي التي ترين في طبعها اعوجاجاً وارفقي بالنابغة المتألمة التي لا ينقصها الا الانجحة لتكون ملاكاً · ارفقي بقلبها الذي يركض عبثاً وراء قلبك ليسكب فيه كل آماله والامه والذي ينسحق عندما يراك عاجزة عن فهم ما يحويه من رقة العواطف ولطف الشعور

كوني صديقة لابنتك لا اماً فقط فتبوح لك بكل ما في صدرها ولا تضطريها للتفتيش عن اخرى ربما كانت اقل ادراكاً منك ومنها فتسير بها بدون ان تدري الى ما ينغص عيشها ويكدر صفو حياتها

ما اعظمك وقد قرنت الى جمالك كمالاً · والى حنانك تهذيباً · والى ذكائك رقة · من يجسر اذ ذاك ان يقف في طريق عقلك عندما يكسر القيود ويسير في سبيل المجد · من يقدر على تحديد نبوغك عندما تنبغين · من يقوى على مسابقة قلبك عندما يذوب حناناً ومحبة ومن يمنعك عن تمجيد خالقك عندما

تعظم نفسك فيخال للناظر الى وجهك ان حوله هالة من نور

كلمة اخيرة الى المتعلمات المتألمات · المخلصات وليس من يفهم اخلاصهنّ المتعذبات وليس من يدري بعذابهن

ما اقلكنّ وما اكثركن يا من بثباتكن ستوقظن الارواح النائمة · ما اقلكن لان عديدكن قليل وما اكثركن لان كل واحدة بمقام الف

لا يتجاوزن اصابع الكف عدداً في بيروت · لا يتجاوزن اصابع الكف اللواتي سيقيم لهن المستقبل تماثيل ومذابح في قلوب ابنائكم وبناتكم ولولا احترام تواضع فيهنّ لعددتهنّ واحدة واحدة

ما اجملك يا شهيدة اليوم وفديسة الغد · ما اجمل صبرك واجتهادك واخلاصك ومحبتك · وما اجزل ثوابك حتى في هذا العالم لان مجرّد سرورك بجهادك هو الثواب بعينه

طريقك ملأى بالاشواك ولكن ما الذّ المسير · حياتك ملأى بالآلام النفسانية ولكن ما اهنأ ما تجعلها قوّة ارادتك · عقلك يئن وقلبك يتمزق ولكن روحك الساهرة تريك الحياة كلحن جميل توقعه ملائكة من نور على اوتار من ذهب ·

الا ترين بصيصاً · الا تبصرين نوراً ضئيلاً · الا تطلعت بعين الفكر الى المستقبل فترين بنات سور يابسرن على اثرك وعلى وجوههنّ الجميلة امارات الفوز وفي افواههن العذبة ترنيمة الغلبة على الجمود ؟

فالى الامام اذاً ولا تخافي · الى ايقاظ الارواح الى تهذيب النفوس · الى تطهير الضمائر الى ترقية العواطف

الى الامام يا ابنة الانبياء ولا تخافي وعورة الطريق تحت اقدامك وظلام

السماء فوق رأسك . الى الامام ولا تهولنّك كثرة الضحايا التي لا بد منها لكل عمل جليل وعظيم

ان خشيتِ فمن صراخ ضميرٍ او حزنت فمن بقاء السيات
ان أسيري فوق زهر ربيع او ضحكت فمن هموم الحياة
ان تعيشي فلابتغاء حميدٍ عاش المجد واسمي — للممات

فديسة المستقبل

تابع صفحة ٢٩١

معلوم ان الانسان لا يأتي عملاً الا وله من نفسه دافع اليه ولا فرق بين ان يكون العمل سلبيًا او ايجابيًا تخلصاً من ضرر او جلبًا لنفع . وقد يكون الانسان مكرهًا بعض الاحيان على عمل ولكنه لحكمة يأتيه صيانة له من شرٍ او تطلبًا لخير

بيد انه في كل الاحوال لا يتحرك الا بعاطفة حبّ النفس . ولولا محبة النفس لما ارتقى الانسان . ولا اريد بهذه العاطفة ما يسمونه انانية . لا اريد بها حب الذات المكروه مستبيح المحرمات مبعث الشراسة والاستبداد . بل اريد بها ما يسمّى النفس ويحفظ كرامتها مما لا يتفق الدين ولا الشرف . ثم قلت لمن قال — ان حبّ النفس اصل كل فضيلة

لولا محبة النفس لما احب الانسان قريبه لما قام واجب لما دافع عن مبدإ . لما جاهد في سبيل الحق بل لما جاء بعمل فيه افادة . لانه بذلك يكون قد راعى عاطفة فيه ومراعاة العاطفة محبة لها ومحبتها محبة النفس لانها جزء منها والاتصال بالجزء سبيل بلوغ الكل

لا يحب الجمال الا الشاعر بتأثيره ولا العلم الا عارفه فيعمله ولا يقدر الشيء حق قدره الا فاهمه والمائل اليه . وهكذا كل امرء لا يفعل امراً الا وحب النفس رائده . فمحبة النفس اذاً هي الداعي لكل عمل وبمقدار اختلاف النفوس تختلف الاعمال

ويديهي ان النفس العالية لا تفعل شيئاً دنيئاً والدنيئة لا صلة بين اعمالها وبين السمو الا ما شذ عن القاعدتين وكان من النوادر

فبناءً كهذا نستطيع فهم الاعمال العظيمة والامور النادرة التي عملها الافراد والتابعون ما يستصعب تصديقه فريق منا على ان لا مجال للشك فيها ما زال التاريخ يثبت رويدها